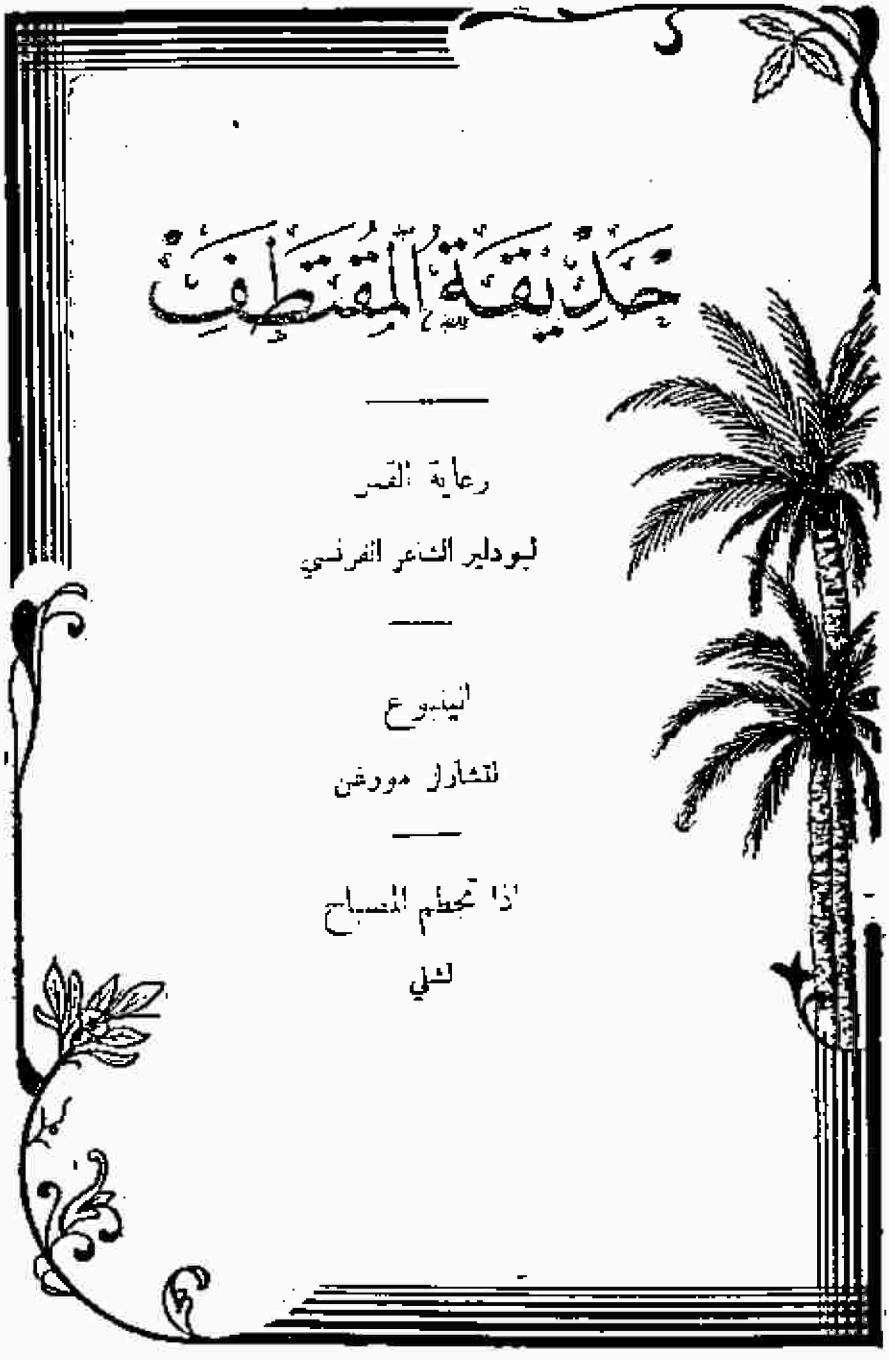

حديقة المقتطف

رعاية القمر

لبودلير الشاعر الفرنسي

اليانبوع

لتشارل مورغن

اذا تحطم المصباح

لشلي

رعاية القمر

لبودلير الشاعر الفرنسي

لنظر إليك القمر — ذلك القلبُ الحرُّ — من وراء النافذة وأنت راقدة في مهدك فيهتف في أعماقه

« شدَّ ما التصقت هذه الصبية على غرار سجيتي »

واسترقَ الخطى هابطاً درج السحاب متسللاً من زجاج النافذة في سكينة وصمت حيث حنا عليك في عطف الأم الرؤوم طابعاً ألوانه على قسمات وجهك

ومن ثمَّ شمتع السندس ملء عينيك ، وشاع الشحوب الرائع في أديم خديك

أجل فعند ما تطلعتِ اليه انداحت حدقتاك بدرجة غريبة فطوَّق نحرك بذراعيه المترفقتين في حنانٍ بالغ أورثك الحنينَ الى الدموع

وما هي الاَّ فورة من نشوة فيَّاضة حتى غمر مخدعك بحورٌ مشعّ من ضوئه الرَّفاف . ذلك الضوء الخالد الذي هتف من سُبُحات تفكيره قائلاً

« ألا فلترتسم عليك قبلتي إلى الابد

« ولكن لك مثل فتنتي وجمالي . ولتحبني كلَّ ما احب وكلَّ ما يحبُّني . من ماء وسحاب . وليل وسكون . من البحر الزبرجديّ المترامي . من الماء المنطلق السيال والمتعدد الاوضاع والاشكال . من المكان الذي لن تطرقيه . من العاشق الذي لن تعرفيه . من الزهور التي لم تدنها الطبيعة . ومن العطور الفوَّاحة المسكرة . ومن القطط المستلقية في تراخٍ على « البيان » ذات الاسرات الأجشة العذبة الحاكية لتنهدات النساء

« أجل ! ولتكوني فتنة عشاقي . وموضع الاجلال من معاري وندمائي . ولتستوي ملكة على عرش من اكتاد الرجال ذوي العيون الخضر . الذين اطاقتهم وتحويهم احضاني كل ليلة . هؤلاء الذين يفتنهم البحر ، البحر المتثائي الاطراف ذو اللجة المصطخبة الخضراء ، والمكان الذي لن يدنوه ، والمرأة التي لن يهتدوا إليها ، وازهار الشر المتوقدة كمجامر كاهن مجهول ، والعطور المثيرة المستبدة بالغرائز ، والوحوش الضارية التي ترمز شهواتها المشبوبة الى حماقة هؤلاء المساكين

« والآن .. ايتها الصبية العنينة العزيزة المشوبة ذلك ما يدفعني لأن أجثو على قدميك متلمساً فيك صورة الالاهة المروعة . ربة الارباب القاضية . ظمأ السموم لكل صرعى القمر من بني البشر

[اختارها وترجمها عن الفرنجة الانكليزية علي محمود طه]

الينبوع

رواية لتشارلز مورغن الكاتب الانكليزي

قطعتان مقتطفتان منها

حياة التأمل

كان لورس ، في الاسابيع التي تلت سعيداً ، سعادة لم يدركها منذ عهد الطفولة . وبدا لهُ كأن العالم ، عاد لا يُهمّه . فكان يجلس الى خوان « جدول » يوماً بعد يوم ، يطالع او يشاهد القلاع وقد اخذ الشتاء يرتدّ عنها ، مطلقاً لفكرة كتابه العنان حتى تنمو في نفسه من غير ان يستحثها . وما كان جزوعاً ، لان «التاريخ» لم يكن في نظره ، غاية تطلب لذاتها ، وانما كان رمزاً لطريقة من طرائق الحياة ، او سبيلاً الى تنظيمها وتنسيقها . ولاح لهُ ان الكتاب التام ، ليس هدفاً يستحثهُ ويدفعهُ الى الجزع وانما رآه عمل رجل ، لا بدَّ لهُ من الدرس كسبيل الى الصيرورة . وان الهدف نفسهُ لسعده ، ليس من هذا العالم

كان لا بدَّ للكتاب من ان يتخذ الشكل التاريخي ، يتتبع فيه تحوّل المثل الروحية في انكلترا من عهد الاحياء ، ثم ربطها ، بفلسفات الماضي السحيق . وانما العمل الذي بين يديه ، لا يقتضي تلخيص بعض المفكرين الصوفيين فقط او تأليف تاريخي ديني . ذلك ان محاولة التوحيد ، بين غرض التأمل وغرض التصوف في الحياة ، كمحاولة التوحيد بين جيل واحد الجداول التي تنبع منهُ . وانما كان موضع عنايته ان يعرف ، هل ثمة اية وحدة ملموسة ، بين الجهود العليا للعقل البشري ، هل يمكن ان يربط بين قصد افلاطون ، ربطاً أتم مما يظن عادة وقصد القديس توما الاكويني او فوغان او نيوتن ؟ فاذا كانت هناك وحدة من هذا القبيل ، فما هي ؟ وهل تقتصر على العبقرية ؟ وما أثرها في حياة الرجال والنساء الذين لا يميلون بطبيعتهم الى حياة التأمل

وكان هنالك فكر يؤثر فيهِ ، كأنها قوة خارجة عنهُ لا نتيجة جدال داخلي ، مؤدّاهُ ان حياة التأمل نادرة ولكن الرغبة في التأمل عامة ، وان الرغبة في التأمل هي للروح ، كالشهوة الجنسية للجسد ، المحرّك الاول في حياة الناس . قال ان سكينة التأمل ، ليس الا

اسمًا يضفى على حالة من المتعة ، والمتعة هي الغرض الذي يرمي اليهِ الناس . حتى الرغبة في الخلود لا يمكن ان تكون من دون موضوع ضعف فيها ، لانهُ يخالطها ، عنصر التوق الى الراحة او الفناء ، او خوفٌ كخوف هملت من الاحلام المخالدة . ولكن الرغبة في المتعة لا يأتيها الضعف من اية ناحية فيها . فهي متسقة مع توق الانسان للراحة ومع اشتياقهِ وحماستهِ للحياة . بل هي الرغبة الوحيدة التي توفق بين الناحيتين . ثم هي تتضمن معنى السيطرة على الاحلام

***

فيرون في بحثهِ عن نظام نهائي للطبيعة الخارجية ، وقديسو الكنيسة الاولون في محاولتهم التوحيد بين ذواتهم وذات الله وفنائهم فيها ، والفلاسفة الذين وقفوا انفسهم على البحث عن الحق المطلق ، الذي لا يُلمس ، وليس لهُ زمان — لم يكن هؤلاء جميعًا يحاولون الوصول من طرق مختلفة الى غرض واحد هو غبطة المتعة لانها خارجة عن الحواس مع انهم لم يفكروا في الخلود . ان رجالاً من طبائع متباينة يبحثون البحث نفسهُ في نطاق الحواس — في ادراك السرعة التي يتلاشى فيها ما دامت ، ادراك الزمان — في الفنون وهي حسية بذاتها اذ ينطلق منها اصحاب النزعات الروحية الى صميم الروح — في الحب الذي يبني معقله في قلب المدينة — تلك هي نعمة التجرُّد التي تردُّ الظلام كما يردّه المشعل في الليل وفي الوقت نفسهِ يعمي المشاهد عن كل شيء الاَّ عن نفسه . ان وصول الانسان بطريقة ما ، الى حالة ، يستثنى منها كل شيء الاَّهُ ، غرض كل احد . فهو يتعلق بأي وعد فيهِ شبح من هذه الحالة . فمراتهُ ، وعصبتهُ على الارض ، وفنهُ ، وفلسفتهُ جميعًا لها من القيمة بقدر ما تحتوي عليهِ من ذلك الوعد . انهُ يضحي بالعالم من اجل حبهِ ، لانهُ في صميم قلبهِ يرغب ان يحسر العالم ، ان ينقص غباره عن قدميهِ ، ويدرّع هذه الغبطة التي تقيهِ منهُ . انهُ يرى الاشياء تتحرك من حولهِ ، ويشهد الوعي كالتيار بين مدٍّ وجزر . فيرغب في ان يكون كالآلهة ، ولو لحظة واحدة ، ساكنًا منيعًا لا يقارب

***

وكذلك أحسَّ لورس ، كالمسافر الذي اقبل على ارض بسيطة لا تحدّ ، بعد ما اعتقد انهُ محصور في مضيق ، فبدأ يرى ان التأمل ، ليس منطقة خاصة لا تحومها الاَّ العبقرية ، بل ملاجأ تتوسّح بهِ جميع آمال الناس ، هي حالة سلم حيةٍ ، تحمل «الابدي» في ثنايها ، فارتدَّ الى أفلاطون امامهُ ، يسمع في عباراتهِ ، صوتَ الانسانية لا قول رجل فردٍ

رسالة

بعثت جولي محبوبة لوس بعلل الرواية برسالة اليه طيّ كتاب عن الفيلسوف ديكارت ، فردّ بالرسالة التالية لما عثر عليها : —

لماذا بعثت بهاذي كتاب ؟ كان يحتمل ان لا اجدها على الاطلاق . اكان هذا الباعث ؟ اكاد اظن ذلك من ثلاثة اسابيع عدت من نزهة طويلة ، فوجدت على خواني ، رزمة كتب عليها العنوان بخط « رمزدل » وداخلها كتاب « درّك » عن ديكارت ، ورسالة من رمزدل يقول فيها انهُ كان قد اتى بهِ من مكتبة الثقصر ، وعليّ ان اعيده اليهِ ؛ متى قضيت منهُ وطري . وما كنت احسّ حينئذٍ برغبة في مطالعة ديكارت ؛ فعدوتهُ الى كتب اخرى ، وأفكار اخرى منذ ما زارني رمزدل هنا ؛ ووضعت الكتاب على عتبة النافذة ، حيث اختفى تحت ركام الاوراق والكتب التي تتجمع بسرعة في مسكني الضيق . ولكنني اعمد الى ترتيب اوراقي وكتبي من آن الى آخر ، وقد بدأت ارتبها الليلة فمرّت على ديكارت . فكان ذلك آخر محاولتي . فجلست اقرأ فوقع كتابك في حضني

كتابتك ! انني لأذكر اول رسالة اتتني منك — في الحصن . وما كنت اعرفك ، ومع ذلك لم استطع الهروب مما احاط برسالتك من السر الخفي — رسالة من روح استطيع ان اراه ولكن لا اراه . يدك على الورق وريشتك ترسم الكلمات وعيناك ترياها . والآن يا جولي ، اتيح لي ان ارى امامي ، على خواني وفي متناولي كتاباً منك ! فكأنك انت في الغرفة . بل اكثر من ذلك . كأن سرك او خلاصتك المصفّاة معي ، مع انها لا تلمس ، كعطر ازهار بعيدة هبّ فجأة من النافذة . كتبت من المكتبة وهي باردة في الليل . مع اني استطيع ان اتصوّر البرد والظلام ، فخيالي لا يستطيع ان يسلم بهما دون اي شيء آخر . اراكِ جالسةً على ارض الغرفة ، والشمس مشرقة عليك ، اذ كنا نتحدث في القرن السابع عشر . اراكِ متحركة ، والشمعة في يدكِ من رفٍّ الى رفٍّ ، لمعانها في شعرك وأخيلتها تتحرك عند قدميك . اراك تحت الاشجار تراقبين التنس ، وعائدة من الملعب وجالسة الى جنبي في عودتنا من رنوك ، وسائرة امامي في الطريق المفضية الى الكوخ . كل هذه الصور ، التي تنبعثين منها ، انما هي صورة واحدة تتصفى فيها الوف التأملات ، بل هي حقيقة اعظم من حقيقة الشيء المرئيّ

هنا ثغرة في كتابي ، مداها ثلاث ساعات او اكثر . لم استطع ان امضي في كتابته . خرجت اتمشى في المرج ، حيث الاشجار تطقطق في هواء جنيدي ، كأن حبالاً من الجد

تتدل من اغصانها . ثم جلست احدق في رسالتك ، وفي المصباح ، ومع ذلك لم اتمكن من المضي فيه . انني لا استطيع ان ادرك هدوء عقلك يا جرلي . بل انني لا اعلم على ما كنت طويت رسالتك لو انك كتبت اليَّ — لا الى ديكارت

سأقول لك لماذا غادرت جيرة القصر من خمسة اشهر . فمن ناحية انت امرأة والاختيار لك — سبب تقليدي . اما من ناحية اخرى ، فلسبب خاص بي . انني استطيع ان اكتب عنه الآن ، بهدوء ورباطة جأش . أما حينئذٍ فلم يكن لنا الاَّ الاستناد الى البديهة . فقضت ببداهتك بأن اذهب . فكتبت كتابك في الحال ومن دون تردد . لم تفكري فيه بل جلست وكتبت . وبعد ساعة جاءني به يعقوب الى الكوخ . فأيدت بديهتي بديهتك . علمت ان حبنا كان قد اصبح اعظم او اسخف مما نفقه — اما الكل او لا شيء . ولكنني لم استطع ان ارى ولا ان اميز . كنت احس ولكنني كنت عاجزاً عن الحكم

الحب الصداقة وكل صلة حميمة بين شخصين ، لها شخصية خاصة مميزة عن شخصية كل منهما المنفصلة ، مع انها نشأت من اندماج الشخصيتين . فخيانتها او افسادها او تشويهها او تحقيرها خطيئة لا تغتفر في رأيي . بيد انني لا اعتقد ان متعة الحب الجسدية خطيئة ، وانما هي تصبح خيانة ميتة ، حين يطغى على الصلة الانسانية ، التسليم بهذه المتعة او الرغبة فيها . فأنت وأنا ، باكتشاف احدنا الآخر ، اصبحنا اما ربين يملكان في صلة احدهما بالآخر مقدرة على خلق جوهر لا يفنى ، اعلى منا كلينا ومستقلا عن ذاتنا ، او حيوانين وقعا في شرك . فاما ان تنمو شخصيتانا ، متجهتين نحو السلام والسكينة عن طريق حبنا وبسببه ، او تتلاشيان في الشهوة السخيفة . فهنا قوة من وراء القدر ، في مكنتها ان تخلق شخصية مندمجة اجل واشد حيوية ، من كلينا ، او هو لذة عقيمة لا غير . وكنت اودُّ ان اعرف ، واحكم على انفسنا . اقول « وكنت اود ان اعرف واحكم » ثم اذا بي لا اريد شيئاً الاَّ ان اكون قربك ، وان اهجر التفكر ، في شهوتي لك . ولكن بديهتي كانت الى الذهاب ، كما كانت بديهتك الى امري بالذهاب . ومنذ ما ذهبت فهمت لماذا ذهبت

لغزة اخرى . كنت في المرج ، حيث بدأ الصباح يتنفس . وقد قرأت ما كتبتُ — كتاباً من قطعتين . تقولين كتاب محبتك ، وكتاب معلمك . ومهما يكن ، فلا بدَّ من ارساله كما هو ، فانني لا استطيع ان احدث تعديلاً في احد قسميه من دون ان اكذب عليك وعلى نفسي. حتى ما كتبهُ معلمك ، فكّر فيه محبتك . وفي هذه عذر عن جفائه . وكنت قد قلت مرّة انني لن احاول ان ابلغك ما يجول في نفسي ، لانك لابدَّ ان تسخري مني . ولكنني افضل ان تسخري على ان اخدمك ، لانني اراني الآن اكثر مما كنت قبلاً محبتك . . .

لورس

اذا تحطّم المصباح

— لشلي —

اذا تحطّم المصباح خبا النور في التراب
اذا تفرّقت النغمة زال جمال قوس قزح
اذا تكسر القيثار نسيت النغمات الاخاذة
اذا تكلمت الشفاه اودت اناشيد الحب

الموسيقى والجمال لا يبقيان بعد المصباح والقيثار
كذلك اسداء القلب لا توحي النشيد اذا كانت الروح صامتة
لا توحي نشيداً بل نغمةً حزينةً كالريح في غرفة متهدمة
او كتلاطم الامواج الذي يشيّع به بحّار الى القبر

بعد ما تمتزج القلوب يخرج الحبُّ من العش الذي احسن بناؤهُ
فينفرد الضعيف بحمل عبئهِ
ايها الحب الذي يأسى لضعف الاشياء على الارض
لماذا تختار الاضعف ليكون مهدك ودارك ونعشك

ان عواطفهُ تهزّك كما تهزُّ العواصف الغربان في الفضاء
ويسخر منك الذكاء الالمعي كما تسخر الشمس من سماء الشتاء
في عشّك يندثر كل عود ، فاذا عاد عقابك
تركك معرّضاً للسخرية ، متى تساقطت الاوراق وهبّت الرياح الباردة